١٩٥٨/ ٤/ ٦

حديث الرئيس جمال عبد الناصر

إلى "فرانك كيرنز" مندوب شركة "كولومبيا" للإذاعة

سؤال: على الرغم من وجود اتحادات رسمية فى الدول العربية الآن كالجمهورية العربية المتحدة واتحاد الدول العربية؛ فإن العالم العربى يبدو الآن منقسمًا على نفسه أكثر من أى وقت مضى؛ كيف تفسرون سيادتكم ذلك؟

الرئيس: إن الحقيقة - كما أراها - أن العالم العربى لم يتحد واقعيًّا وفعليًّا كما هو متحد الآن. إن الخلافات التى تبدو فيه اليوم إنما هى خلافات بين بعض السياسيين والحكام، أما الوحدة الأساسية، وهى وحدة التفكير والهدف، فإنها تجمع الآن كل شعوب العرب. وعلى سبيل المثال فمنذ عشر سنوات خلال حرب فلسطين حينما حاول الإسرائيليون غزو جزء من الوطن العربى، كان الساسة والحكام العرب متحدين فى الظاهر، أو هكذا بدوا أمام الناس.. كان يبدو فى الظاهر أن هناك قيادة عسكرية عليا واحدة يتولاها الملك عبد الله، وكان يبدو فى الظاهر أن هناك تعاونًا بين الجيوش العربية. ولما انتهت هذه الحرب وتكشفت حقائقها؛ استبانت شعوب العرب أنها كانت مخدوعة فى كل ما تصورته؛ فلقد كانت الخلافات والحزازات تمزق الجبهة العربية الواحدة، وتسهل مهمة العدو الذى يواجهها. وهكذا كانت ظروف الفشل فى حرب فلسطين، وكان النجاح الوحيد الذى حققه حكام العرب وساستهم وقتها؛ هو أنهم استطاعوا أن يخدعوا شعوبهم بمظاهر الوحدة الكاذبة.

أما الآن فإن الأمر يختلف، إن الوضع الآن هو عكس ما كان في الماضي، والآن بالرغم مما قد يكون بين الساسة والحكام، فإن وحدة الرأى العام العربى سليمة؛ مجتمعة على هدف واحد.

سؤال: هل تتوقع أن تنضم المملكة العربية السعودية فى اتحاد مع الدول العربية المتحدة، هذا الاتحاد الذى يجمع الجمهورية العربية المتحدة واليمن؟

الرئيس: حينما أعلنا وحدة مصر وسوريا قلنا إن الباب مفتوح لأى بلد عربى يريد أن يدخل فى وحدة أو اتحاد معها، أما فيما يتعلق بموقف المملكة العربية السعودية فكل ما أستطيع قوله هو أن المملكة العربية السعودية نفسها هى السلطة الوحيدة التى تمتلك اتخاذ مثل هذا القرار.

سؤال: لقد قيل فى الخارج إن إتمام الوحدة بين مصر وسوريا بالطريقة السريعة التى تمت بها جاء بسبب خوف الساسة السوريين من النفوذ الشيوعى!.. هل تستطيع أن تعلق على هذا؟

الرئيس: إن الصحافة الأمريكية تصنع حكايات ثم تصدقها، ثم تبنى أحكامها على أساس هذا التصديق. ولقد ظلت صحافتكم طوال العام الأخير تتهم زعماء سوريا بأنهم تحت النفوذ الشيوعى؛ فكيف يمكن أن نفسر هذا التناقض فى أقوالكم؟! طوال العام الماضى كنتم تقولون إن زعماء سوريا تحت التأثير الشيوعى، ثم تجيئون الآن فتقولون إن الذى دفع زعماء سوريا إلى طلب الوحدة مسرعين هو خوفهم من النفوذ الشيوعى! فكيف يمكن أن يتفق كلامكم فى الماضى مع كلامكم فى الحاضر؟! أما رأيى الخاص فهو أنكم كنتم على خطأ فى تصوركم للماضى، كما أنتم على خطأ فى تصوركم للحاضر، والحقيقة أن سوريا كانت دائمًا مؤمنة بالوحدة العربية، ولقد كانت أغلى سنوات كفاحها مكرسة لهذا الهدف، لقد كانت الوحدة العربية والإيمان بها هو الدافع وهو الهدف.

سؤال: لقد قلتم فى خطاب أخير إنكم تستهدفون تخفيف التوتر فى الشرق الأوسط وفى العالم، ومع ذلك ففى الوقت نفسه تقوم دعايتكم القوية بإثارة المتاعب فى الأردن والعراق، فكيف تفسرون ذلك؟

الرئيس: أعتقد أن تصويرك وتفسيرك للحوادث لا يرسم صورة صحيحة لها؛ إن سياستنا كانت وما زالت هى إزالة التوتر فى الشرق الأوسط وفى العالم، ولقد نضطر أحياناً إلى القيام بعمليات دفاعية، ولكن هذا لا يعنى أن هدفنا تغير، وأن هذا الهدف لم يعد تخفيف التوتر.

إن هناك تسع محطات إذاعة سرية معادية لنا، كما أن هناك من حولنا عددًا من محطات الإذاعة العلنية تعمل لحساب الذين لا يريدون الخير لشعوب العرب أو لنا، وفى مقدمتهم منظمات حلف بغداد، وهذه المحطات كلها لا هم لها إلا مهاجمتنا. إنهم يهاجمون أمانى العرب وحقوقهم المشروعة فى أن تكون لهم سياسة وطنية تستمد أصولها من رغباتهم، وتنبع من أعماقهم، وهم يهاجموننى لأنى أدعو إلى هذه السياسة. ولقد كان الواجب يفرض علينا أن ندافع عن أنفسنا ضد هذه الهجمات، وأن نشرح الحقيقة لشعوبنا.

إنكم تنسون الحملات التى توجه ضدّنا، ولكنكم تذكرون دفاعنا عن أنفسنا ضد هذه الحملات. إن محطات الإذاعة السرية تحرض على قتلى، فإذا وصفت الذين يعملون فيها ويتعاونون معها بأنهم من قوى الاستعمار، ومن أعوان الاستعمار؛ جئتم تقولون إننى أهاجمهم!

سؤال: هل هو شىء مقصود أم هى محض صدفة أن معظم هذه الدول التى تهاجمها دعايتكم دول معادية للشيوعية وموالية للغرب؟

الرئيس: إننا لا نهاجم هذه الدول لأن حكامها يعادون الشيوعية؛ فذلك شأنهم، ونحن لا نهاجمهم حين يتحولون إلى أدوات تعمل لصالح المستعمر وتخدم أغراضه وأهدافه؛ فذلك شأنهم أيضًا، وإنما نهاجم بالتبعية حينما يستعملون

فى المعركة ضد آمال شعوبنا. وما يصيبهم فى المعركة مع الاستعمار هو فى الواقع مسئولية الاستعمار الذى يستعملهم، لا مسئوليتنا؛ فإن هذا الاستعمار هو الذى يعرضهم لأخطار المعركة التى يخوضونها لحسابه. لقد خاض بعض هؤلاء الحكام معركة عزل مصر - كما كانوا يسمونها - فلما فشلت المعركة وعاد الضرر على الذين كانوا يخوضونها؛ امتد الضرر فشمل الذين وضعوا الخطة، والذين اشتركوا فى تنفيذها، وليس هذا ذنبنا. ودعنى أيضًا أوضح فى النهاية أن دعايتنا كانت كلها دعاية دفاعية.

سؤال: لقد قال الرئيس بورقيبه إن مؤامرة دبرت فى القاهرة لاغتياله، فما ردكم على هذا؟

الرئيس: إن الرئيس بورقيبة اتهم بذلك أحد زعماء المعارضة التونسيين وهو يقيم فى مصر بوصفه لاجئًا سياسيًا، وبعد أن سمعت اتهامات الرئيس بورقيبة له، أمرت بإجراء تحقيق فى تفاصيل المسألة.

سؤال: لقد قيل إن ثلاثة من الشبان حاولوا اغتيالك فى شهر يناير الماضى، فهل هذا الذى قيل صحيح؟

الرئيس: لقد قرأت هذه القصة فى بعض الصحف الأجنبية، ولم أعتبر أنها من قبيل الأخبار، وإنما اعتبرتها من قبيل الأمانى. إن الذين كتبوها خلطوا الأمانى، التى يتمنون حدوثها بالأخبار التى لم تحدث أصلاً.

وعلى أى حال، فلقد كانت هناك محاولة حقيقية أخيرة لاغتيالى، إن مبلغ ٢ مليون جنيه دفع فى دمشق؛ لتدبير مؤامرة اغتيال، وأنت تعرف القصة.

سؤال: لقد كنتم تقولون إنكم ترفضون قبول المعونة الأمريكية لأنها مشروطة، ومع ذلك فقد أوقفتم معونتكم للأردن ما لم يغير سياسته، ألا تعتبرون ذلك شرطًا؟

الرئيس: إن عرض معونتنا على الأردن لم يكن ترفًا؛ وإنما عرضنا المعونة على الأردن لتسد حاجة خطيرة نشأت من تأثير انقطاع معونة أجنبية كان الأردن يتلقاها، وكان قطعها عنه بسبب انتهاج حكامه سياسة وطنية عربية؛ لذلك كان فرضًا علينا أن نقتطع من قوتنا لنعطى الأردن. أما وقد غير ملك الأردن سياسته، وحصل على معونة أجنبية بسبب هذا التغيير؛ فإن معونتنا أصبحت غير ذات ضرورة.

ولقد كانت معونتنا للأردن قائمة على أساس توحيد القيادة بين الجيش السورى والجيش المصرى والجيش الأردنى؛ وذلك دفاعًا عن المصالح العليا للعرب. ولكن ملك الأردن أنهى هذا الوضع فجأة، وقلب سياسته رأسًا على عقب، وكان معنى أن نعطيه معونة بعد ذلك هو أننا نشجعه على اتخاذ سياسة تتعارض مع المصالح العليا للعرب.

سؤال: لقد علمنا أن هناك اتفاقًا للمعونة الاقتصادية بين مصر والاتحاد السوفيتى، ومع ذلك فإن شيئًا من هذه المعونة لم يصل مصر بعد، أليس هذا صحيحًا؟

الرئيس: أولاً لا أظن أن هناك اتفاقية معونة؛ وإنما نحن عقدنا مع الاتحاد السوفيتى قرضاً مقداره ٧٠٠ مليون روبل، وبمقتضاه سوف يسلم هذا القرض إلينا على شكل آلات ومعدات ومصانع. ولقد كانت هناك أخيرًا فى موسكو بعثة مصرية، ولقد اتفقت هذه البعثة بالفعل على تفاصيل توريد ٢٥ مصنعًا ينبغى أن تسلم إلى مصر. ونحن الآن نتفاوض فى تفاصيل توريد ٤٠ مصنعاً أخرى، وأظنك تسلم معى أن توريد مصانع كاملة المعدات يقتضى بعض الوقت.

سؤال: إن سياستكم هى الحياد، ومع ذلك فأنتم لا تنفكون تهاجمون الدول العربية الموالية للغرب، وتهاجمون الاستعمار الغربى، ولا تهاجمون الكتلة الشيوعية، فكيف تفسرون ذلك؟

الرئيس: دعوتنا إلى الحياد شيء، وحقنا فى الدفاع عن أنفسنا ضد أى عدوان شيء آخر. إننا نعتبر أن حقنا فى الدفاع عن أنفسنا ضد العدوان بجميع أشكاله ومظاهره حَق مقدس لنا، والغرب هو الذى يشن علينا حرب الدعاية، والحرب السياسية، والحرب الاقتصادية، وحرب الأعصاب. ولقد ذكرت لك – على سبيل المثال – محطات الدعاية التسع السرية التى تعمل ضدنا، وموجاتها قادمة من قبرص ومن فرنسا، والاستعمار الغربى فى حربه علينا يسوق معه فى المعركة أعوانه فى المنطقة. هذه هى حقيقة الموقف، المعركة من ناحيتنا معركة دفاعية.

أما فيما يتعلق بالكتلة الشيوعية.. فإننا لا نستطيع أن ننكر مساعدتها لنا. لقد كانت سياسة الغرب هى تجويعنا، وذلك بعد فشل العدوان المسلح علينا؛ فقد جمدت أموالنا فى بريطانيا وفى الولايات المتحدة، وكنا من غير نقد أجنبى نستطيع أن نواجه به ضغط الدول الغربية الكبرى علينا، وساعدنا الاتحاد السوفيتى.

إن القطن هو محصولنا الرئيسى، ولابد لنا أن نبيعه، ولقد فرض علينا الغرب حصارًا اقتصاديًا، وعرضت روسيا علينا أن تشترى قطنًا منا، فهل كان يتعين علينا أن نرفض بيع قطننا؟! لقد كان يجب أن نبيعه، ولقد بعناه شاكرين للذى اشتراه؛ لأنه ساعدنا فى التخلص من الحصار المضروب علينا.

ولقد كنا فى حاجة إلى شراء القمح، بعد أن نفد مخزوننا منه بعد ظروف العدوان، ورفضت أمريكا أن تبيع لنا، وعرضت روسيا علينا ما أردنا، فهل كان يجب أن نرفض شراء القمح ونستسلم للجوع الذى أرادوا أن يفرضوه علينا؟!

هكذا يبدو أنه حتى فى هذا، فإن اتجاه سياستنا هو اتجاه دفاعى بحت، وهكذا يبدو أيضًا أننا نتمسك بسياسة عدم الانحياز، ولكن عدم الانحياز فى

بداية ردى على هذا السؤال شيء، والدفاع المشروع عن النفس شيء آخر.

سؤال: إن الصحف المصرية والإذاعة المصرية تصور الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها العدو رقم واحد لمصر، فلماذا؟

الرئيس: أظن أن الأمر ليس على هذا النحو بالضبط، والواقع أن صحفنا وإذاعتنا فى تعرضها للولايات المتحدة إنما كانت تستند على حقائق معينة بالذات؛ منها مثلاً - كما قلت لك - تجميدكم لأرصدتنا فى أمريكا، ومنها امتناعكم عن بيع القمح لنا؛ بينما الفائض لديكم منه كثير لا تعرفون كيف تتخلصون منه، ومنها امتناعكم عن بيع الأدوية حين طلبنا منكم ذلك بإلحاح. وكما ترى فإن هذه الأعمال من ناحيتكم أعمال عدائية، فكيف كان يجب أن يكون تعرض الصحافة المصرية والإذاعة المصرية لها؟ أظن أن الشيء المنطقى هو أن التعليق على العمل العدائى لا يمكن إلا أن يكون صدى مماثلاً له.

ثم أنت دون جدال تقرأ ما تكتبه صحفكم عن بلادنا، وأنت لا تستطيع أن تصف لهجة حديثكم عنا - مهما أوتيت من لباقة - بأنها لهجة ودية، فكيف تطلب أن يكون رد الفعل فى صحفنا وإذاعتنا ودياً؟!

سؤال: ما العقبات التى تعترض - فى رأيكم - تحسن العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية من ناحية، وبين الجمهورية العربية المتحدة من ناحية أخرى؟

الرئيس: إن هذه العقبات فى الواقع ليست عقباتٍ مادية، وفى الواقع إنه لا توجد مشاكل مادية بيننا وبينكم غير تجميدكم لأرصدتنا من الدولارات، وإنما العقبات الحقيقية هى من الناحية المعنوية.

إننا لا نقر سياسة الضغط والتهديد، ولن نخضع لها. إننا لا نريد أن نعادى الولايات المتحدة؛ فإن سياستنا المرسومة هى أن نصادق الجميع، وأن

نكون على علاقة طيبة بالجميع، ولكننا لا نريد، ولا نستطيع أن نفرط فى سيادتنا أو فى كرامتنا الوطنية.

سؤال: لماذا لم تعودوا تعترفون بدور أمريكا فى وقف العدوان سنة ١٩٥٦؟

الرئيس: لقد شرحت وجهة نظرى فى هذا الأمر بالتفصيل فى الأيام التى أعقبت العدوان، لقد أعطيت الفضل الأول للشعب المصرى الذى حارب فى بورسعيد، وأعطيت الفضل للشعوب العربية التى تضامنت فى إحباط العدوان، وشكرت للرئيس "أيزنهاور" دوره فى الوقوف مع المبادئ، كما شكرت لروسيا تدخلها لوقف العدوان، وكذلك قدمت للأمم المتحدة تقدير الشعب المصرى. ولقد كان ذلك منذ ما يقرب من عام ونصف عام، فهل ينبغى على أن أداوم على تكراره كل يوم؟!

هذه ناحية من الأمر، والناحية الأخرى هى أن الولايات المتحدة الأمريكية بعد موقفها من العدوان انتهجت سياسة مضادة لمعنى الموقف الذى وقفته فى أيام العدوان. لقد اندفعت الولايات المتحدة بعد ذلك فى سياسة عزل مصر وسوريا، ولقد كان واضحًا أمامنا أنه منذ شهر يناير سنة ١٩٥٧ حين أعلن "أيزنهاور" أن السياسة الأمريكية اتجهت إلى عملية عزل مصر، ثم اتجهت بعد ذلك إلى عملية الضغط على سوريا، وكان لهذه السياسة أثرها بعد ذلك على العلاقات بيننا وبين الولايات المتحدة.

سؤال: لقد قلتم أخيرًا إن العرب يجب أن يتكتلوا حتى لا يكون للصهيونية مكان بينهم، فهل يعنى هذا أن سياستكم هى محو إسرائيل من الوجود؟

الرئيس: لكى تفهم شعورنا فى هذه المسألة بالذات، ينبغى عليكم مراجعة الحوادث، ولن أعود إلى التاريخ البعيد، وإنما يكفينى ما حدث قريبًا؛ فى سنة ١٩٥٥ كانت هناك انتخابات عامة فى إسرائيل، وكانت المعارضة فى إسرائيل تخوض المعركة على أساس ما يسمونه أرضهم الموعودة من النيل إلى الفرات؛ أى أن تشمل إسرائيل أجزاء من مصر، وأن تبتلع

الأردن كله، وسوريا، ولبنان، وتضم إليها أجزاء من العراق. أما الحكومة الإسرائيلية فقد كانت تخوض المعركة على أساس أنها ستنتهج سياسة ترمى إلى فرض تسوية بالقوة لمشكلة إسرائيل. ومعنى هذا أن سياسة الحكومة والمعارضة فى إسرائيل سياسة عدوانية؛ المعارضة تدعو إلى الحرب للتوسع، والحكومة تدعو إلى الحرب لفرض تسوية بقوة السلاح لمشكلة فلسطين. فهل يمكن بعد هذه الشواهد أن نتغافل عن وجود خطر صهيونى يهدد الكيان العربى كله، وينذر الشعب العربى بأن يتحول إلى شعب من اللاجئين؟ ليس هذا وهمًا، وإنما هذا ما حدث فعلاً لشعب من أكرم الشعوب العربية، وهو شعب فلسطين.

لهذا كان يجب أن ننبه للخطر، ويجب أن نعمل فعلاً على الاستعداد له، ولا نترك هذه المسئولية لأحد غير شعوبنا. وفى الواقع أن الاعتماد على أى شىء آخر غير شعوبنا لحماية أرضنا أمر لا يمكن تصوره، وإلا فعلى من نعتمد مثلاً؟ لقد كانت هناك فكرة قديمة عند بعض الساسة العرب الموالين للغرب، تنادى بالاعتماد على ضمان البيان الثلاثى، ولكن التجربة العملية أثبتت أن هذا البيان الثلاثى لا يمثل أى حماية أو أى ضمان؛ فلقد اشترك ثالثًا البيان الثلاثى - وهما بريطانيا وفرنسا - فى عدوان مسلح على مصر، بالتعاون مع إسرائيل.

سؤال: هل ترى أى احتمال لتسوية بين العرب وإسرائيل؟

الرئيس: إن المشكلة بين العرب وإسرائيل كانت أولاً حقوق شعب فلسطين المنهوبة، ولقد أضافت إسرائيل إلى هذا أيضًا مطامعها التوسعية؛ ويكفى للتدليل على ذلك أن إسرائيل تستقبل فى العام الواحد الآن أكثر من مائة ألف مهاجر، فهل تستطيع إسرائيل بمواردها الحالية أن تستوعب هذا العدد؟ إن نتيجة ذلك ستكون أعمالاً عدوانية جديدة تستهدف التوسع، فهل ترى أن هذا كله يتيح أى أمل فى حل؟!

سؤال: هل أنت متفائل من نتائج مُباحَثاتِكم الاقتصادية مع البريطانيين والفرنسيين؟

الرئيس: لست متشائمًا، وإن كان الخلاف لا يزال قائمًا بيننا على مشكلة التعويضات، ولن ينتهى هذا الخلاف إلا بالاتفاق على التعويضات.

سؤال: فى هذا الصيف ستكون قد مرت ست سنوات على قيام ثورتكم، فما الذى تحقق من أهدافكم فى هذه الفترة؟

الرئيس: لقد كانت لهذه الثورة حين قامت ستة مبادئ مشهورة، أعلنتها:

أولها- القضاء على الاستعمار وأعوانه، وأظن أن هذا الهدف تحقق.

وثانيها- القضاء على الإقطاع، وأظن أننا قطعنا شوطًا كبيرًا فى تحقيق هذا الهدف؛ فلقد حددنا ملكية الأرض، ووزعنا عددًا منها على الفلاحين، ووضعنا الحدود لعلاقة المالك بالمستأجر على أساس حر متكافئ.

وكان الهدف الثالث- القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم، ولا أظن أن هناك من يدعى أنه بقيت لرأس المال سيطرة على الحكم فى مصر اليوم.

ثم كان هناك بعد ذلك إقامة عدالة اجتماعية، ولقد حاولنا ومازلنا نحاول إقامة مجتمع تسوده الرفاهية.

ثم هناك هدف إقامة جيش وطنى قوى، ولقد حققنا ذلك إلى حد بعيد.

ثم كان الهدف السادس هو إقامة حياة ديمقراطية سليمة، ولقد تمكنا من أن نبدأ ببعض خطوات فى هذا الطريق.

سؤال: إن أعداءكم يقولون إنكم دكتاتور؛ فما رأيكم فى هذا؟

الرئيس: إن أعداءنا يستطيعون أن يقولوا ما يحلو لهم، وإذا كان الحرص على تعبئة جميع قوى الشعب وتوجيهها إلى بناء مستقبله دكتاتورية؛ فأنا إذًا

دكتاتور. ثم دعنى أذكرك بأن الراعى الذى يحرس الغنم من هجمات الذئب عليها، ويحول بينه وبين افتراسها؛ هو فى نظر هذا الذئب دكتاتور متحكم؛ لأنه يحول بينه وبين تحقيق أمانيه فى الغنم بافتراسها، هل تعلم من الذى قال ذلك؟.. زعيمكم المشهور "إبراهام لنكولن".

إن النظر إلى المسائل يختلف دائمًا من الزاوية التى ينظر بها كل فرد، ومع ذلك فأظنك تعلم أن هناك من يقول إن الولايات المتحدة إرهابًا فكريًّا، وإنها دولة بوليسية. هناك من يقولون إن الطريقة المكارثية فى اضطهاد الناس ومطاردة أفكارهم لا تفترق فى شىء عن أسوأ ما تتهمون به أعداءكم.

سؤال: هل تستطيعون أن تحددوا ما الوقت المناسب لقيام ديمقراطية كاملة؛ أعنى بوجود أحزاب ومعارضة منظمة فى بلادكم؟

الرئيس: إن الولايات المتحدة الآن قوة كبرى بتعداد سكان كبير وصناعات ضخمة، ولكن لو أنك عدت إلى الأيام الأولى من تاريخ بلادكم، أيام حرب التحرير، عندما كان تعداد سكان بلادكم لا يزيد عن أربعة أو خمسة ملايين يحاربون الإنجليز دفاعًا عن استقلالهم؛ إذا عدت إلى هذه الأيام من تاريخكم، وإذا تذكرت ما كان يقوله رئيسكم الأول "جورج واشنطن"، والمخاوف التى كانت تحيط به، لو عدت إلى هذا كله لاستطعت أن تفهم هذه الفترة التى نمر بها، لقد قال لكم "جورج واشنطن" فى حديثه المشهور – حديث الوداع – عندما قرر أن يعتزل السلطة، إنه لا يوافق على نظام تعدد الأحزاب فى هذه الفترة التى يخوض فيها الشعب الأمريكى معركة تقرير مصيره؛ إن تعدد الأحزاب فى هذه الفترة قد يؤدى إلى حرب أهلية.

كان "جورج واشنطن" هو الذى قال هذا، وكان يقوله عن الولايات المتحدة الأمريكية، وهو قول صادق أثبتت التجارب صحته فى ظروف البلدان التى تجتاز تلك المراحل الحاسمة من تاريخها.. مرحلة الحرب من أجل تقرير المصير والحرية.

لعلنى أذكرك أيضًا أن "جورج واشنطن" فى ذلك الوقت كان يدعو الولايات المتحدة إلى اتباع سياسة عدم الانحياز والحياد عن كل مشاكل أوروبا، وهذا أيضاً أسلم الطرق بالنسبة للبلدان التى تخوض نفس ظروفكم أيام حرب التحرير، وهى تكاد تكون بنفسها الظروف، التى نخوضها نحن الآن. لقد تخلصنا فى هذا القسم من الجمهورية العربية المتحدة – مصر أعنى – من احتلال بريطانى دام أكثر من خمس وسبعين سنة. ونحن الآن نشعر بشعوركم وتراود أنفسنا نفس المخاوف، التى كانت تراود نفوسكم على أيام "جورج واشنطن". إننا نريد تثبيت استقلالنا الذى حصلنا عليه بعد كفاح، ونريد تدعيمه؛ حتى نتمكن من بناء المجتمع الذى نحلم به. ولابد من فترة يتبلور فيها الفكر الوطنى الحر ويضرب بجذوره فى أعماق أرضنا، ولو أنى سمحت الآن للأحزاب أن تقوم على الفور، فماذا تكون النتيجة؟

أغلب الظن أننى سأجد هنا ثلاثة أحزاب أحدها يدعو إلى التحالف مع الغرب، وسيكون عماده على بعض الرجعيين والإقطاعيين، وثانيها يدعو إلى التحالف مع الاتحاد السوفيتى، وسيكون عماده من الشيوعيين، أما الحزب الثالث فسوف يكون الحزب الذى ينادى بانتهاج سياسة عدم الانحياز والحياد الإيجابى. وسيكون بين الثلاثة معركة عنيفة تمزق وحدة بلدنا، فهل هذا هو ما أريده؟ إن جوابى هو بالقطع: لا. إننى لا أريد أن تتمزق وحدة وطننا؛ من أجل مصلحة هذا البلد الأجنبى أو ذاك؛ وإنما أريد صيانة وحدة هذا البلد؛ حتى تثبت الفكرة الوطنية المنبثقة من أعماقه وترسخ. وعلى أى حال.. فإنى أظن أننا سرنا خطوات فى طريق الديمقراطية الصحيحة.

لقد خلصنا الفلاح من عبودية صاحب الأرض حين حددنا الملكية، ونظمنا علاقة المالك والمستأجر؛ ومعنى ذلك أيضًا أن هذا الفلاح تحرر سياسيًّا،

فلم تعد إرادة مالك الأرض تحدد له اتجاه صوته فى صناديق الانتخاب، لقد أصبح لكل فلاح فى مصر الآن رأى حر طليق فى شئون بلده.

ولقد أجرينا أخيرًا انتخابات عامة فى مصر، ولم أشأ أن أخدع الناس أو أضللهم؛ لذلك قلت صَراحةً إننا سنعترض علنًا وبدون إخفاء أو مواربة على الذين نرى أنهم لا يصلحون لتمثيل الشعب، ولقد اعترضنا فعلاً على بعض الرجعيين والشيوعيين، ثم تركنا الفرصة مفتوحة أمام العناصر الوطنية، ولقد كانت النتيجة أن بلادنا حصلت على برلمان وطنى، استطاع فى الفترة القصيرة، منذ وقت انتخابه أن يؤدى دورًا نافعًا فى النقد وفى التوجيه.

وما من شك أنه ستتلو هذه المرحلة مرحلة أخرى، وفى تصورى أننا سنصل إلى نظام يستند على وجود حزبين خطوة خطوة؛ وبذلك يمكن أن تؤدى الديمقراطية الصحيحة دورها فى تدعيم الثورة، وإقامة المجتمع الذى تصدت هذه الثورة لمحاولة بنائه.

سؤال: هل أنت شيوعى؟ هل بعض مستشاريكم من الشيوعيين؟

الرئيس: الذى أعرفه عن نفسى هو أنى وطنى، والذى أعرفه عن مستشارى هو أنهم جميعًا من الوطنيين.

سؤال: متى ترفع قيود السفر إلى الخارج؟

الرئيس: حينما يتوفر لدينا فائض من النقد الأجنبى، نستطيع أن نصرفه على الترف، وعلى الاصطياف فى مصايف أوروبا وأمريكا.

سؤال: هل هناك معنى خاص لزيارتك المقبلة للاتحاد السوفيتى؟

الرئيس: لقد وعدت منذ عامين أن أزور الاتحاد السوفيتى، ثم تأجلت الزيارة بسبب ظروف العدوان، ولقد كان الاتحاد السوفيتى على أى حال طوال علاقته معنا بلدًا صديقًا، هذا هو سبب الزيارة ومعناها.

١٩٥٨/٤/١٧

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

من دار الإذاعة بمناسبة ذكرى الجلاء عن سوريا

■ أيها المواطنون:

إن يوم الجلاء عن سوريا يمثل معنى كبيراً فى تاريخ الدعوة المقدسة التى تتجاوب أصداؤها فى منطقتنا اليوم؛ وهى دعوة الوحدة.. دعوة القوة.. دعوة الحياة.

لقد كان هذا اليوم ذروة شاهقة فى تاريخ كفاح الشعب السورى، استطاع هذا الشعب العظيم من فوق عُلاها أن يستشرف على جوانب الأفق كلها، يرى ماضيه وراءه ويتطلع إلى مستقبله أمامه، يتزود من الماضى تجربة وفهماً ويختزن للمستقبل إرادة وأملاً.

أيها المواطنون:

لقد كان المعنى الكبير ليوم الجلاء عن سوريا هو أن شعبها وجد نفسه، واكتشف مَلَكاتِهِ ومواهبه، وقرر أن يكرسها جميعاً لتحقيق أمانيه فى وحدة العرب العظمى. ولقد كان العهد الذى قطعته سوريا على نفسها وهى ترفع علم الاستقلال فى يوم الجلاء؛ هو أنه لن يرتفع فوق هذا العلم إلا علم واحد، هو علم الوحدة، والمعنى الرائع فى هذا العهد هو أن الوحدة لا يمكن أن تقوم إلا إذا كان الاستقلال مقدمة وتمهيداً لها، وأن الأمل الأعظم للعرب لا يمكن أن يتحقق إلا

إذا تخلصت إرادة العرب من أغلال الاستعمار وسلاسله؛ سواء فى ذلك سلاسل الحديد أو سلاسل الذهب.

أيها المواطنون:

كان هذا هو المعنى الكبير فى يوم استقلال سوريا.. لقد أدركت سوريا فى هذا اليوم أن أمانى الشعوب لا يمكن أن تكون منحة من دولة قوية، وأدركت سوريا فى هذا اليوم أن الآمال الكبرى، لا يمكن أن تكون معلقة بوعود تقطع نظير خدمات تؤدى؛ إنما أمانى الشعوب تحققها إرادات الشعوب، وآمالها الكبرى لا تصنعها إلا عزيمتها القادرة. إن الحق يطلب لأنه حق، وإذا استحال الحق إلى منحة أو منة من قوى إلى ضعيف؛ لضاع شرف الحق وهانت كرامته.

أدرك شعب سوريا هذا كله يوم الاستقلال، فقطع على نفسه عهد السعى إلى الوحدة واثقاً مطمئناً.

أيها المواطنون:

هكذا انطلق شعب سوريا بعد الاستقلال إلى معركته الخالدة من أجل الوحدة، مزوداً بأعظم ما يمكن أن يتزود به محارب: وضوح فى الهدف، إيمان بالقضية، ثقة بالنفس. وكان لابد للنصر أن يكون استجابة القدر، ولقد كان النصر الكامل لشعب سوريا ولشعب مصر الذى لاقاه فى منتصف الطريق؛ هو قيام الجمهورية العربية المتحدة.

أيها المواطنون:

بهذا تأكد أن القضايا العربية لا يمكن أن تحل بعيداً عن العواصم العربية، وبهذا تأكد أن قيمة أى بلد فى العالم لا تتحدد بمقدار مساحته من الأرض، ولابتعداد السكان داخل حدوده، وإنما تتحدد قيمة أى بلد بمقدار إيمان أبنائه بحقهم، وبمدى استعدادهم للعمل المخلص المجرد لكفالة الاحترام لكل القيم التى يؤمنون بها. ولقد استطاع كفاحنا أن يثبت أنه ليست فى العالم دول ضعيفة، وإنما فى

العالم دول مستضعفة، وكذلك استطاع كفاحنا أن يثبت أن الظلم لا يـصنعه إلا الهوان، وأن الاستسلام هو الذى يجئ بالطغيان؛ هذا هو المنطق الإيجابى للحياة، وبغيره لا تكون هناك حياة.

أيها المواطنون:

ولقد فهمت شعوبنا - شعوب العرب كلها - هذا المنطق ووعدته، فلقد كانت العبرة فى تاريخنا ظاهرة ناطقة، ولإن كان هذا الفهم والوعى لم يجد طريقه إلى بعض الأفراد، فإن الشعوب بمشاعرها الخالصة وحواسها الـشفافة وضـمائرها المتحررة من رواسب الأهواء والأغراض، قد حفظت عبرة تاريخها، وتصرفت بصدق ونزاهة على أساسها؛ ومن ثم قربت منا يوم تحقيق الوحدة العظمى.

أيها المواطنون:

لتكن دعوتنا فى هذا العيد أن ترتفع أعلام الاستقلال فى كل بلد عربى. إن أعلام الاستقلال طليعة لأعلام الوحدة.

أيها المواطنون:

جعل الله من هذه الجمهورية العربية المتحدة التى جمعتنا تحت علمها الحر؛ عزاً وجاهاً لكل العرب، حصناً وموئلاً لكل العرب، عوناً وذخراً لكل العرب.

والسلام عليكم ورحمة الله.

١٩٥٨/٤/٢٩

كلمة بخط الرئيس جمال عبد الناصر

لإحدى الصحف المجرية فى مطار بودابست

■ أحمل للشعب المجرى صداقة شعب الجمهورية العربية المتحدة، وأرجو له دوام العزة والرقى.

إمضاء جمال عبد الناصر

١٩٥٨/٤/٢٩

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

للشعب المجرى

■ أيها الأصدقاء:

لقد كنت أتطلع – منذ وقت طويل – إلى فرصة لقائكم هنا فى بلادكم العظيمة. ولئن كانت ظروف تذكرونها قد أخرت موعد هذه الفرصة؛ فإنها لم تستطع أن تقلل من تطلعى إليها.

لقد جئتكم أحمل إليكم تحية شعوب صديقة؛ شعوب تعيش فى منطقة هامة من العالم، وتشعر – بحكم ما تفرضه عليها ظروف المكان الذى تعيش فيه، مضافاً إلى مشاعرها الذاتية المنبعثة من صميمها – أن لها دوراً تؤديه فى سبيل صيانة الحرية والرخاء والسلام لجميع البشر.

وإنه لينبغى على، منذ اللحظة الأولى التى أضع فيها قدمى على أرض بلادكم، أن أوجه إليكم عرفانى العميق على ما أظهرتموه من فهم أصيل، كان خلال تجارب عديدة مررنا بها من أبرز العوامل التى ساعدتنا على المضى فى تحمل أعباء المسئولية التى حملنا التاريخ أمانتها، فتحملناها بحماسة وإيمان.

أيها الأصدقاء:

إنى واثق أن لقاءنا هنا سوف يدعم فهمنا المشترك، ومن ثم سوف ينمى مجالات تعاوننا.

وإنى لواثق أيضاً أن هذه الصداقة التى ربطت شعوبنا بشعوبكم ستقوم بدورها كاملاً كطاقة إنسانية هائلة، توجه كل قوتها للمساهمة فى صيانة السلام لهذا الجنس البشرى الذى ملأ الأرض من حوله بمعجزات العقل والإحساس، ومع ذلك لم يستطع حتى الآن أن يوفر لنفسه حقاً بديهياً بالنسبة لأى كائن حى؛ ألا وهو حق الأمن.

يا سيادة الرئيس.. أيها السادة القادة.. أيها الأصدقاء:

أشكركم على استقبالكم الكريم، واسمحوا لى أن أقول: إن شعور الصداقة الذى وجدته هنا نحو شعوبنا هو صدى متجاوب لشعور الصداقة نحوكم فى وطنى الذى غادرته منذ بضع ساعات.

١٩٥٨/٤/٢٩

الرئيس جمال عبد الناصر

يرد على أسئلة الصحفيين فى مطار بودابست

الرئيس: إن العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والمجر علاقات ودية متينة، وهى تشمل النواحى الثقافية، والسياسية، والاقتصادية، ونحن نأمل أن تزداد هذه العلاقات تمكناً ووثوقاً فى المستقبل.

سؤال: ما دوافع زيارتكم للاتحاد السوفيتى؟

الرئيس: إننا ننظر إلى الاتحاد السوفيتى كدولة صديقة، وإلى شعبه كشعب صديق، وهذا هو الدافع الرئيسى للزيارة. إننا نود أيضاً أن نزداد معرفة بالاتحاد السوفيتى، فقد دعيت منذ عامين لهذه الزيارة، ولكننى لم أستطع – بسبب الظروف التى تعلمونها – أن ألبى هذه الدعوة، وها أنا ذا الآن أؤدى هذه الزيارة عندما استطعت ذلك لتزداد العلاقات وثوقاً.

سؤال: ما احتمالات إتمام الوحدة العربية الشاملة بعد وحدة مصر وسوريا؟

الرئيس: إن القومية العربية عقيدة العرب، والوحدة العربية هى أحد الأهداف التى تسعى القومية العربية لتحقيقها، وإن الاتحاد الذى تم بين مصر وسوريا ليس سوى خطوة فى هذا السبيل، ولا يستطيع أحد أن يقرر متى تحقق الشعوب هذا الاتحاد؛ فإن الأمر يرجع إلى التطورات والظروف.

(ثم طلب الصحفيون من الرئيس أن يوجه كلمة إلى الشعب المجرى بمناسبة هذه الزيارة، فقال الرئيس:)

إننى أعتز بالصداقة والشعور الطيب الذى لقيناه هنـــا، وأتمنـــى أن تظـــل علاقتنا قوية مع الشعب المجرى، وأن تتوثق فى جميع الميادين، وهـــذه ليـــست رغبتى فحسب؛ بل رغبة شعب الجمهورية العربية.

١٩٥٨/٤/٣٠

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

فى مأدبة العشاء فى الكرملين

■ إن شعب الجمهورية العربية يدرك حق الإدراك شعور الصداقة وروح التعاون اللذين يعالج بهما الاتحاد السوفييتى جميع المشاكل التى تواجه العرب.

إن شعب الجمهورية المتحدة فى كل من الإقليمين السورى والمصرى ظل أكثر من ستمائة عام يكافح فى سبيل الظفر بالاستقلال.

إن الثورة التى قامت فى مصر عام ١٩٥٢ قد قام بها الجيش لتحرير مصر من الاستعمار وأعوانه.

أصدقائى:

يسرنى أن أكرر لكم أن تأييدكم لقضيتنا قد لعب دوراً كبيراً فى تحقيق انتصارنا فى هذه المعركة.

إن سياستكم فى تأييد الدول العربية وفى الدفاع عن الحرية والاستقلال اللذين ظفرت بهما، قد بعث الأمل فى قلوب الشعوب، التى لا تزال تناضل من أجل حريتها.

إن الاستعمار باء بالفشل، ولم يجد سبيلاً سوى أن يشن حرباً لاستعباد الأمم العربية فى منطقة الشرق الأوسط.

لقد كان تأييدكم عاملاً دعم الحرية، ورفع الروح المعنوية فى هذه المنطقة من العالم؛ فأخذت الشعوب تكافح للظفر بحقوقها وهى تشعر أنها لا تقف وحدها فى هذا الكفاح، بل إن هناك دولاً صديقة تقف إلى جانبها وتؤازرها فى سبيل الدفاع عن حقوقها، وتساعدها على مقاومة الحرب السياسية والاقتصادية؛ وهكذا تعززت قضية حرية الأمم التى تنشد الاستقلال.

١٩٥٨/٤/٣٠

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

فى مأدبة الغذاء التى أقامها "خروشوف"
رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى تَكْريماً له

■ إن هذه الزيارة لها أهمية كبرى فى العلاقات بين الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة؛ فلأول مرة نتقابل مع قادة الاتحاد السوفيتى، ونتكلم فى جميع الأمور بصراحة ووضوح.

ولقد أثبت التعاون الذى تم فى السنين القليلة الماضية بين الاتحاد السوفييتى وجمهوريتنا العربية أنه يمكن أن يتبع سياسة مبنية على التعاون والصداقة.

ولم تكن مساعدتكم لنا متوقفة على شرط أو على التزام من الالتزامات، فقد ظللتم دائماً تحترمون سياستنا المستقلة؛ فلم يحدث أى تدخل بأى حال من الأحوال وقد كنتم تحترمون سياسة الحياد الإيجابى التى أعلناها. وقد أثبتت المحادثات التى تمت بيننا على أن التعاون بين البلدين مبنى على الصداقة والإخلاص، كما عبر عن ذلك أيضاً خطاب سيادة الرئيس الذى سيقابل من جميع أبناء الجمهورية العربية المتحدة بالتقدير الكامل.

فقد كانت الدعاية المعادية والدعاية الاستعمارية تحاول أن تثير الشكوك بين أبناء الأمة العربية من تعاونهم مع الاتحاد السوفيتى، وقد قلت فى تصريحاتى العديدة للصحف البريطانية والأمريكية عن تجربتنا فى التعاون مع الاتحاد السوفيتى: إن هذا التعاون إنما هو تعاون عن إخلاص لمساعدتنا فى التحرر

والتخلص من مناطق النفوذ، ومن أجل مساعدتنا فى التطور الاقتصادى ومن أجل تصنيع بلادنا، وأن من يريد أن يخضع بلداً لا يمكن أن يعاونه فى أن يصل إلى مراكز القوة، سواء من ناحية القوة العسكرية أو من ناحية البناء الصناعى.

وقد حاربنا لكى لا نكون ضمن منطقة نفوذ الدول الاستعمارية، وقررنا أن تكون سياستنا مستقلة تنبع من ضمير بلدنا، ولم نكن - أيها الأصدقاء - فى تعاوننا فى الأربع سنين الماضية إلا متتبعى سياسة التحرر التى رسمناها، وزادتنا هذه السنين ثباتاً على اتباعها.

وكان هذا التعاون نجاحاً للمبادئ التى أعلنها مؤتمر باندونج، وهى مبادئ التعايش السلمى والتعاون بين الأمم، مهما اختلفت نظمها الاجتماعية.

وقد اشتركنا فى هذا المؤتمر، وكنا نعبر عن شعور الشعوب العربية التى عانت من سيطرة الاستعمار، والتى تريد التحرر السياسى والاقتصادى، كما تريد أن تبنى اقتصادها بناءً قوياً سليماً.

هذه هى سياسة الجمهورية العربية المتحدة؛ الحرية والاستقلال للشعوب العربية جميعاً، والتعاون مع الدول بدون قيد ولا شرط. ويسرنى أن محادثاتنا قد أثبتت تفاهمنا الكامل فى هذا الموضوع، وإننا -إن شاء الله - سنستمر فى هذا التعاون المبنى على الصداقة والإخلاص.

لقد طالبنا فى مؤتمر باندونج بمنع التجارب الذرية، ومنع استخدام الأسلحة النووية، وتحويل الذرة للأغراض السلمية لمساعدة الدول المتخلفة اقتصادياً، ونادينا فى باندونج بخفض السلاح؛ حتى يمكن أن تستخدم الأموال التى تصرف فى التسليح فى خدمة الإنسانية. وعندما أعلنتم - يا سيادة الرئيس - عن قراركم بمنع التجارب الذرية فى الاتحاد السوفيتى، أعلنت حكومة الجمهورية العربية المتحدة أنها تؤيد هذا القرار، وتطالب الدول جميعها بتأييدكم، وتطالب بالاتفاق على منع استخدام الأسلحة النووية.

إن التجارب الذرية تؤثر على البشرية، ومن حقنا أن ندافع عن كيان البشرية، ومن حقنا أيضاً أن ننادى بمنع التجارب الذرية فى الأجزاء المختلفة من العالم، وخصوصاً بعد أن أعلن أن فرنسا ستقوم بتجارب ذرية فى إفريقيا؛ الأمر الذى يعرض البلاد العربية للخطر.

إن هذا قد أعلن فى مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥؛ فقد أعلنت مبادئ التعايش السلمى والتعاون من أجل السلام العالمى، وأيدنا ذلك فى أواخر عام ١٩٥٧ فى مؤتمر الشعوب الإفريقية - الآسيوية الذى عقد فى القاهرة.

وفى شهرنا هذا عقد مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة فى أكرا، وقد أجمع الرأى فى هذا المؤتمر على تأكيد مبادئ باندونج والتأثر بها.

ويسرنى - يا سيادة الرئيس - تعبيركم عن تفهمكم لكفاح الدول العربية من أجل الحرية والاستقلال، وتفهمكم لخطر إسرائيل الذى يهدد الدول العربية؛ باعتبار إسرائيل رأس جسر للاستعمار.

وإن شعب الجمهورية المتحدة والشعوب العربية تنظر إليكم نظرتها للصديق الذى يعاونها لا لسبب أو لمصلحة؛ ولكن من أجل تثبيت حريتها واستقلالها، كما عبرتم عن ذلك فى خطابكم الآن. إننا نعتز بهذه الصداقة ونعمل على تثبيتها وتدعيمها ودوامها.

وفى حديثى أرجو أن أحيى الصداقة السوفيتية - العربية، والرئيس "خروشوف" والقادة السوفييت الأصدقاء، كما أرجو دوام الأعياد السعيدة لكم.